أثر الوقف والابتداء في اختلاف الدلالة النحوية عند أبي حاتم السجستاني (ت: ٢٥٥هـ)

دكتور/ يوسف محمد سعود عويهان العنزي
قسم اللغة العربية ــ كلية الآداب ــ جامعة الكويت

الملخص

يعرض هذا البحث لقضية مهمة من القضايا التي يتعانق فيها الدرس اللغوي بالدرس النحوي، من خلال علاقة الوقف والابتداء باختلاف الدلالة في التراكيب النحوية، وهذا الجانب وإن كان من الجوانب التي خاض فيها كثير من الباحثين إلا أنه جانب من جوانب المعرفة العربية الأصيلة الذي لا يكاد ينضب معينه، وبخاصة إذا تعلقت دراسته بعلَمٍ كبير من أعلام القرآن وقراءاته، واللغة والنحو، وهو الإمام أبو حاتم السجستاني.

وقد تناول البحث بعض توجيهات الإمام أبي حاتم للدلالة النحوية، وأثر هذه التوجيهات في إنتاج الدلالة المعنوية المترتبة على الوقف والابتداء، وقد سار في تناوله وعرض مادته داخل إطار المنهجين: الوصفي، والتحليلي، وذلك بالعمد إلى تحليل الظاهرة قيد الدراسة ووصفها، مع التطبيق على بعض الوقوف التي تؤيد فكرة البحث، والكشف عن طاقاتها الدلالية المرتبطة بالمعاني الوظيفية للتراكيب والأدوات النحوية.

وهذا البحث - وإن لم يتمكن من الإتيان على كل آراء الإمام أبي حاتم السجستاني في الوقف والابتداء؛ نظرا لكثرتها التي لا يمكن أن يفي بها بحث صغير - فإنه أماط اللثام عن وجه من وجوه إعجاز القرآن وثراء تراكيبه، مبينا تداخل العلوم العربية وارتباط بعضها ببعض، وعدم تباينها؛ من خلال

ربط ظاهرة من ظواهر الدرس اللغـــوي وهـــي ظـــاهرة الوقـــف والابتـــداء بـــبعض مسائل وقضايا الدرس النحوي الدلالي.

الوقف والابتداء ـــــ السجستاني ـــــ الدلالة ـــــ النحو

Effect of Pause and Inception in difference of grammatical significance of Abu-Hatem Al-Sijistani(Year: ٢٥٥AH)

Dr. Yousef Mohammad Saud Owihan Al-Enezi
Associate Language Instructor, Language Center, Faculty of Arts, Kuwait University

Summary

This humble research presents a very important issue in which the linguistic lesson relates with the grammatical study through relationship of Pause and Inception with difference in the grammatical structures. This aspect is one of aspects of authentic Arabic knowledge, especially if its study is related to Imam Abu-Hatem Al-Sijistani who is interested in Quran and its recitations, language and grammar.

The study dealt with some of grammatical significance directives of Imam Al-Sijistani and their effect on production of moral significance of the Pause and Inception. He addressed this study in framework of the descriptive and analytical methods, by deliberately analyzing the phenomenon under studyand describing it, while applying this study to some Pauses that support the idea of research and uncovering its semantic abilities related to the functional meanings of syntactic structures and tools .

This research revealsone of the great miracles of Quran and its rich structures, indicating the overlap of Arabic sciences and the link between each other, and non-variance, by linking a phenomena of linguistic lesson, the phenomenon of Pause and Inception, with some of the matters and issues of semantic grammar lesson.

Pause and Inception - Al-Sijistani -significance - grammer

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين وبعد.

فالقرآن الكريم هو دستور الله الخالد ومنهجه القويم وطريقه المستقيم وهو معين الشريعة الذى لا ينضب، ومنهل اللغة الذى لا ينفد، وقد قامت العلوم الشرعية والعربية تدور فى فلكه، وتستمد منه أدلتها وحججها.

ومن علوم الشريعة الغراء تأتي واسطة عقدها وهي علوم القرآن الكريم، ومن أبواب علوم القرآن الكريم باب الوقف والابتداء.

والوقف والابتداء: فن جليل به يعرف كيفية أداء القراءة، كما أن "من تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه، وغريبه، معرفة الوقف والابتداء فيه"(١).

"وفي معرفة الوقف الذى دَوَّنه العلماء تَبيينُ معاني القرآن العظيم، وتعريفُ مقاصده، وإظهارُ فوائده، وبه يتهيأ الغوص على درره وفرائده"(٢).

وقد جعل العلماء وأئمة القراء علم الوقف ملمحًا مهمًا من ملامح تبيين معاني كلام الله عز وجل، وفصل بعضها عن بعض؛ ليتحقق فهم هذا الكتاب، وتتمايز فيه المعاني الجائزة والواجبة والممتنعة، وبناء عليه فإن هذا العلم يمثل جانبًا مهمًا جدا بالنسبة للعلوم التي قامت لخدمة هذا الكتاب العزيز، وبيان مراد الله منه؛ لكونه معجزة خالدة إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ومن ثَمَّ فقد عُني هذا العلم بمصنفات ماتعة رائعة، صنفها أئمة أعلام وجهابذة عظام، منهم من حُفظت جهوده بالتدوين والتصنيف المستقل، ومنهم من تفرقت آراؤه وتناثرت أقواله في الوقف والابتداء فأثبتها من جاؤوا بعده في مصنفاتهم، وممن توزعت أراؤه في الوقف والابتداء الإمام أبو حاتم السجستاني(٣) الذي يقوم هذا البحث على آرائه في الوقف والابتداء وأثرهما على توجيه الدلالة النحوية.

---

(١) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء فى كتاب الله عزوجل: لأبى بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن، طبعة مجمع اللغة العربية، دمشق، الأولى١٣٩٠هـ- ١٩٧١م ١٠٨/١.

(٢) ينظر: جمال القراء وكمال الإقراء: لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣) تحقيق: د.علي حسين البواب، طبعة مكتبة التراث، مكة المكرمة، ومطبعة الدني، القاهرة، الأولى ١٤٠٨هـ ٥٥٣/٢ بتصرف.

(٣) هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجُشميّ السجستاني الأصل، البصري الموطن والمنشأ، لم تذكر التراجم سنة ولادته، ولكنهم مجمعون على أنه نزل البصرة وسكن فيها. =

سبب اختيار الموضوع:

يرجع اختيار هذا الموضوع محلا للدراسة إلى جملة أسباب، من أهمها:

١ـــ أن البحث في أثر الوقف والابتداء في الدلالة النحوية يصلني بكتاب الله عز وجل، ولأنَّ الدلالة النحوية ما هي إلا تُكأة لكشف المعاني المحتجبة في كتاب الله العزيز؛ ولا عجب فالإعراب فرع المعنى كما يقولون.

٢ـــ أنَّ الإمام أبا حاتم السجستاني كان من الأئمة الأعلام الذين كانت أراؤهم في الوقف والابتداء محط اهتمام عدد كبير من العلماء الذين جاؤوا بعدهم كالأنباري(١) والنحاس(٢) والداني(٣) وغيرهم من العلماء.

٣ـــ أنَّ الإمام السجستاني كان بصري المذهب، وقد عاش الفترة التي كان الصراع فيها دائرا على أشده بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة، وكان متعصبا جدا لمذهب البصريين؛ الأمر الذي حدا به للطعن في كثير من نحاة الكوفة كما يقول الزبيدي(٤) والسيوطي(٥)، وهذا بدوره يثري البحث العلمي من ناحية، ويكشف عن آراءه النحوية من خلال توجيهه للوقف من ناحية أخرى، وبخاصة بعد أن ضاعت كل آثاره العلمية المتخصصة.

منهج البحث:

للوصول إلى الأهداف المراد تحقيقُها من وراء هذا البحث فسوف يسير في تناوله وعرض مادته داخل إطار المنهجين: الوصفي، والتحليلي، وذلك بالعمد إلى

=شب متتلمذًا على أيدي كثير من العلماء، منهم أبو عبيدةَ معمرُ بنُ المثنى، وأبو زيدٍ الأنصاريُّ، والأخفشُ سعيد بن مسعدةَ، والأصمعي عبد الملك بن قريب، ومن قبلهم إمام القراءات وعالم العربية يعقوب الحضرمي، وكان ثقة قيمًا بعلم اللغة والشعر، من تلاميذه: ابن قتيبة الدينوري، والمبرد، وابن دريد، وأبو سعيد السيرافي وغيرهم، توفي سنة ٢٥٥هـ.

ينظر ترجمته في: الثقات: لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، (ت:٣٥٤هـ) تحقيق: السيد شرف، طبعة دار الفكر، بيروت ١٣٩٥هـ، ٢٩٣/٨، والفهرست: لمحمد بن إسحاق أبو الفرج النديم (ت: ٣٨٥هـ)، دار المعرفة، ٣٩٨هـ، ص٨٦، ونزهة الألباب في الألقاب: لأحمد بن علي ابن محمد المشهور بابن حجر العسقلاني، (ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن صالح السديري، طبعة مكتبة الرشد، الرياض ١٤٠٩هـ - ١٩٩٨، م١٨٩/١. ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لشمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الأولى ١٩٩٤م ٤٢٠/٢.

(١) عرض الأنباري لرأي أبي حاتم في توجيه الوقف والابتداء، في كتابه: (إيضاح الوقف والابتداء) ما يقارب خمسة وأربعين رأيًا.

(٢) عرض النحاس لرأي أبي حاتم في توجيه الوقف والابتداء، في كتابه: (القطع والائتناف) ما يقارب أربعمائة رأي وقول.

(٣) عرض الداني لرأي أبي حاتم في توجيه الوقف والابتداء، في كتابه: (المكتفى في الوقف والابتدا) ما يقارب ثلاثين رأيًا.

(٤) ينظر: مراتب النحويين: لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة، الثانية ١٣٨٤هـ، ص٢٤، ٢٧.

(٥) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ٤٠٠/٢.

تحليل الظاهرة قيد الدراسة (أثر الوقف في اختلاف الدلالة النحوية) ووصفها، مع التطبيق على بعض الوقوف التي تؤيد فكرة البحث، والكشف عن طاقاتها الدلالية المرتبطة بالمعاني الوظيفية للتراكيب والأدوات النحوية.

وإنما اقتصر هذا البحث على بعض آراء الإمام السجستاني دون بعضها الآخر؛ نظرا لكثرة آرائه وتوجيهاته، الأمر الذي لا يتفق وشروط البحث الملزمة، وإنما كانت غاية البحث وهدفه التدليل على فكرة تداخل العلوم العربية وارتباط بعضها ببعض، وعدم تباينها؛ من خلال ربط ظاهرة من ظواهر الدرس اللغوي وهي ظاهرة الوقف والابتداء ببعض مسائل وقضايا الدرس النحوي الدلالي.

وقد انتظم البحث فى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

المبحث الأول: أفردته للدراسة النظرية، والمبحث الثاني: للدراسة التطبيقية، وقد أنقيت فيها نماذج لرأي الإمام أبي حاتم السجستاني؛ لبيان رأيه في تحديد نوع الوقف فيها، وحجته في ذلك.

المبحث الأول

الوقف والابتداء (تعريفه وأهميته وأقسامه)

أولا – تعريف الوقف والابتداء لغةً:

الوقف في اللغة الثبات والاحتباس والمكث، أو هو السكون من الحركة، يأتي فعله متعديًا، فيقال: وقفتُ الدابة، ويأتي لازمًا، فيقال: وقفتْ وقوفًا[1].

ويأتي بمعنى الإعلام، يقال وقَّفت فلانًا على ذنبه إذا أطلعته عليه، ووقَّفت القارئ؛ علَّمْتُه مواضعَ الوقوف، والوقوف في القراءة قطعُ الكلمةِ عمَّا بعدها[2].

والابتداء ضد الوقف: وهو افتتاح الشيء والشروع فيه، يقال: بدأت الشيء فعلته ابتداء، والبدء فعل الشيء أول[3].

الوقف والابتداء اصطلاحًا:

قسَّم العلماء الوقف المقصود في فن القراءة إلى نوعين:

النوع الأول: نوع لا يتأثر به المعنى، ومنه الوقف على أواخر الكلم، وتاء التأنيث، ووقفُ حمزة بن حبيب الزيات وهشام بن عمار السُّلمي على الهمز، وهذا النوع ليس مرادًا في هذا البحث؛ لأنه متعلق بكيفية الأداء ولا يُحدِث فرقا في المعنى.

النوع الثاني: وهو الذي يتأثر به المعنى في الآية من حيث تمامه وعدمه، وهو المراد في هذا البحث، وقد عرفه الإمام الزركشي في البرهان بأنه:

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس ت:٣٩٥ه، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، طبعة دار الجيل، بيروت ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ١٣٥/٦. والعباب الزاخر واللباب الفاخر: لأبي الفضائل رضي الدين الحسن بن محمد الصاغاني القرشي (ت:٦٥٠هـ) تحقيق: محمد حسن آل ياسين، طبعة دار الرشيد للنشر، ٦٣٦. والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت:٧٧٠هـ)، طبعة المكتبة العلمية، بيروت، لبنان ١٩٨٧م، ص٢٥٦، والكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، الثانية، ص٩٤٠.

(٢) ينظر: أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) تحقيق: عبد الرحيم محمود، طبعة دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ ٣٥٠/٢.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس ١٣٥/٦، ولسان العرب: لجمال الدين محمد بن منظور(ت : ٧١١هـ)، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، وأمين الصادق الحميدي، طبعة دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ٢٢٣/١ .

" فَنٌّ جَلِيلٌ وَبِهِ يُعْرَفُ كَيْفَ أَدَاءُ الْقُرْآنِ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ وَاسْتِنْبَاطَاتٌ غَزِيرَةٌ وَبِهِ تَتَبَيَّنُ مَعَانِي الْآيَاتِ وَيُؤْمَنُ الِاحْتِرَازُ عَنِ الوقوع في المشكلات"(١).

وعرفه الإمام ابن الجزري بأنه: "قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله"(٢).

وأما الابتداء فهو في عرف القراء: الشروع في القراءة بعد قطع أو وقف، فإن كان بعد القطع فيتقدمه الاستعاذة ثم البسملة إذا كان الابتداء من أوائل السور، وإذا كان من أثنائها فللقارىء التخيير في الإتيان بالبسملة أو عدم الإتيان بها بعد الاستعاذة، وأما إذا كان بعد الوقف فلا يتقدمه الاستعاذة ولا البسملة(٣).

ثانيا - أهمية علم الوقف والابتداء:

ترجع أهمية علم الوقف والابتداء إلى جملة أسباب فصلها العلماء، ومنها:

١- اعتناء السلف الصالح– رضوان الله عليهم- به، قال ابن الجزري: "وصحَّ بل تواترَ عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح"(٤).

وقد استدل النحاس (ت:٣٣٨) على وجوب تعلمه بالأثر الوارد عن ابن عمر - رضي الله عنه-: لقد عشنا برهة من دهرنا وأن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن... قال أبو جعفر: فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون التمام كما يتعلمون القرآن، وفيه دليل على أن تعلمه إجماع من الصحابة رضي الله عنهم(٥).

---

(١) البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي، ت:٧٩٤ه تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، طبعة دار المعرفة، بيروت- لبنان، الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م ٣٤٢/١.

(٢) النشر في القراءات العشر: لشمس الدين محمد بن يوسف الشهير بابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) تحقيق: علي محمد الضباع، طبعة المطبعة التجارية، القاهرة، ٢٤٠/١.

(٣) ينظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري: لعبد الفتاح بن السيد العسس المرصفي (ت: ١٤٠٩ه)، طبعة مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية،٣٩٢/١.

(٤) النشر في القراءات العشر: ٢٢٥/١.

(٥) ينظر: القطع والائتناف: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحَّاس، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م ص٨٧، والنشر في القراءات العشر: ٢٢٥/١.

٢- كثرة المصنفات التي صنفها العلماء في هذا العلم.

٣- أنَّه علم تتبين به مقاطع الكلام ومباديه، وتظهر مراداته ومعانيه إذ الوصل قد يُدخِل في معنى الكلام ما ليس منه، وقد يخرج القطع من معنى الكلام ما هو منه، أو يكون كلامًا غير مفهوم؛ نظرًا لبقاء جزء منه لم يتصل به، ويتبين هذا بالمثال، فالواو بين الجمل قد تكون عاطفة، وقد تكون استئنافية، فإن كانت الأولى فحق الجملة التي بعدها وصلها بما قبلها، وإن كانت الثانية فحق الجملة التي بعدها البدء بها وقطعها عما قبلها.

وقد بين العلماء أهمية هذا العلم وعظيم خطره، فقال عنه علم الدين السخاوي (٦٤٣ه): "في معرفة الوقف والابتداء الذي دوَّنه العلماء تتبين معاني القرآن العظيم، وتعرف مقاصده، وتظهر فوائده، وبه يتهيأ الغوص على دُرره وفرائده فإن كان هذا بدعة فنعمت البدعة"(١).

وقال عنه معين الدين النكزاوي (ت:٦٨٣هـ): "هو باب الوقف عظيم القدر، جليل الخطر؛ لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن، ولا استنباط الأدلة الشرعية إلا بمعرفة الفواصل"(٢).

ولا شك أنَّ دراسة الوقف والابتداء والاعتناء بها أمر مهمٌّ؛ لكونه مرتبط بالمعاني التي يدور عليها الكلام، من حيث انفصال بعضه عن بعض أو تعلقه به، وهو الوقف النحوي إذا صحت التسمية؛ لأنه يكون بمراعاة قواعده وأحكامه التي يضبط بها انفصال الألفاظ بعضها من بعض؛ أي ما يجوز قطعه من المركبات وما لا يجوز، وهو العلم الذي قسم عليه القراء الوقف إلى أنواعه المعروفة من (تامٍ وكافٍ وحسن وقبيحٍ) وهو الذي عليه سير هذا البحث إن شاء الله.

---

(١) ينظر: جمال القراء وكمال الإقراء: لعلم الدين السخاوي علي بن محمد بن عبد الصمد (٦٤٣ه)، تحقيق: د. على حسين البواب، طبعة مكتبة التراث، مكة المكرمة الأولى ١٤٠٨ه- ١٩٨٧م ٥٥٣/٢.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١ه) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ٢٨٣/١.

ثالثا - أقسام الوقف والابتداء:

قسم العلماء الوقف إلى قسمين؛ وقفا اضطراريًا، ووقفًا اختياريا.

فأما الأول وهو الوقف الاضطراري: فهو الوقف الذي لا يتم به المعنى؛ لكون الكلمة الموقوف عليها ليست محلا للوقف غالبا؛ لشدة تعلقها بما بعدها لفظا ومعنى، أو لفساد المعنى بالوقف على كلام يوهم معنى غير المراد، وهو المصطلح عليه (بالقبيح) ولا يجوز تعمد الوقف عليه إلا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه، لعدم الفائدة وفساد المعنى(١).

فمن الوقف القبيح الذي لم يفد معنى لشدة تعلقه بما بعده لفظا ومعنى الوقف على (الحمد) من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:١]، وكالوقف على (الناس) من قوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [البقرة:٢١٣]، ولا يجوز الوقف على مثل هذا إلا لضرورة، ثم يبتدأ بعد زوال الضرورة بالكلمة الموقوف عليها إن كان يصح الابتداء بها، وإلا فيبتدأ بما قبلها مما يصح الابتداء به.

ومن الوقف القبيح الذي يوهم معنى غير المعنى المراد من الآية الوقف على (لا يستحي) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي* أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا...﴾ [البقرة:٢٦] والابتداء بقوله: (أنْ يضرب...)، وكالوقف على (والظالمين) من قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ* أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان:٣١] والابتداء بقوله: (أعد لهم...).

والوقف على هذا وأمثاله أقبح وأشنع من سابقه؛ لما فيه من فساد المعنى، ولا يجوز لمؤمن يؤمن بالله ورسوله أن يتعمده.

وأما القسم الثاني وهو الوقف الاختياري: فهو الذي يتم الكلام به، مع جواز تعلقه بما بعده من جهة اللفظ أو المعنى، وهو أنواع:

(١) ينظر المكتفى في الوقف والابتدا: لعثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، طبعة دار عمار، الأردن، الأولى١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ص١٤٠، والنشر في القراءات العشر:٢٢٥/١.

١- **تامٌ:** وهو الذي لا يتعلق بما بعده البتة، لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى، وقد اصطلح عليه الأئمة بالتام؛ لتمامه المطلق، ولكونه يُوقف عليه ويُبدأ بما بعده، كقوله تعالى﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة: ٥] الوقف عليه تام؛ لأنه يُبدأ بعده بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[البقرة:٦]، والوقف على:﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة:١٥] تام؛ للابتداء بعده بقوله:﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾(١).

٢- **كافٍ:** وهو الذي له تعلق بما بعده من جهة المعنى دون اللفظ، وقد اصطلح عليه بـ(الكافي) للاكتفاء به عما بعده، واستغناء ما بعده عنه، وهو كالتام في جواز الوقف عليه والابتداء بما بعده، وهو أكثر أنواع الوقف ورودا في القرآن الكريم، ومنه الوقف على رؤوس الآي ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة:٣]، والابتداء بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، وقد يكون الوقف الكافي كذلك في وسط الآيات، كالوقف على قوله تعالى (أشهدوا خلقهم) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:١٩]، والابتداء بقوله: (سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ).

وقد يكون الوقف كافيًا على تفسير وإعراب، وغير كاف على آخر؛ وذلك كالوقف على قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة:١٠٢]، فالوقف على جملة (يعلمون الناس السحر) كافٍ إذا جعلت (ما) التي بعدها نافية؛ أي: لم ينزل عليهما سحر ولا باطل، وإنما أنزل عليهما الأحكام، وأمرا بنصرة الحق وإبطال الباطل، وغير كافٍ بل حسنٍ إذا جعلتها بمعنى الذي؛ أي: ولكن

(١) ينظر المكتفى في الوقف والابتدا: ص ١٤٠.

الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر والذي أنزل على الملكين، ولا يصح حينئذ الابتداء بها(١).

حسنٌ: وهو الذي له تعلق بما بعده من جهة اللفظ والمعنى معا، وقد اصطلح عليه بـ(الحسن)؛ لأنه حسنٌ مفيدٌ معنى في ذاته يجوز الوقف عليه، ولا يجوز البدء بما بعده؛ لارتباطهما لفظا ومعنى، ومن ذلك الوقف على لفظ الجلالة (لله) في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ* رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:١] والابتداء بقوله: (ربِّ العالمين)، فإن الوقف على لفظ الجلالة يفيد معنى في ذاته، لكنه يتعلق بما بعده لفظا ومعنى؛ فما بعد لفظ الجلالة صفة له، ولا يصح فصل الصفة عن الموصوف، وما دام لا يصح الابتداء بما بعد الموقوف عليه فعدم الوقف أولى، ثمَّ " لأنه ابتداء، والابتداء بالمجرور قبيح؛ لأنه تابع لما قبله" (٢).

وسوف يتتبع البحث وقوف أبي حاتم السجستاني ودلالاتها النحوية والمعاني المتعلقة بها في المبحث الآتي من هذا البحث:

(١) ينظر منار الهدى في بيان الوقف والابتدا: لأحمد بن عبد الكريم بن محمد الأشموني (ت: ١١٠٠هـ)، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، طبعة دار الحديث، القاهرة، مصر ٢٠٠٨م ٨١/١.

(٢) ينظر المكتفى في الوقف والابتدا: ص ١٤٥.

المبحث الثاني
أثر الوقف والابتداء في اختلاف الدلالة النحوية
عند أبي حاتم السجستاني

*** فمن أثر الوقف في تحديد الحذف والتقدير قول الله تعالى:**

﴿الٓمٓ* ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١-٢].

حيث يرى الإمام أبو حاتم السجستاني أن الوقف على (الٓمٓ) كافٍ وليس بتمام[١]؛ وذلك لتعلقه بما بعده من جهة المعنى دون اللفظ، وإنما أجاز أبو حاتم الوقف عليه لأنه رأس آية.

وقد علل العلامةُ النحاسُ اعتبار السجستاني هذا الوقفَ كافيا وليس تاما؛ بأنه عدَّ هذه الأحرف المقطعة (الٓمٓ) من أحرف المعجم التي لا يُعرف معناها بالوقف عليها، فجعل الوقف عليها كافيا لكونها رأس آية، مع تعلقها بما بعدها من جهة المعنى[٢].

ثُمَّ نقل النحاس في الوقف في هذه الآية أحكاما أخرى، بتوجيهات أخرى؛ فقال إن يعقوب بن إسحاق الحضرمي وأبا الحسن بن كيسان يريان أن الوقف على (الٓمٓ) تامٌ، وليس كافيا كما ذهب إليه السجستاني، إلا أن الأول علل التمام بأن كل حرف من هذه الأحرف يفيد معنى؛ قدره بـ(أنا الله أعلم)، فجعل كل حرف مقابلا لكلمة مما قدره، وأما ابن كيسان فقدر(الٓمٓ) اسما للسورة في موضع نصب بعامل محذوف تقديره: (اقرأْ ألمْ) أو في موضع رفع مبتدأ حُذف خبره، تقديره: (عليك الٓمٓ) أو (هذا أو ذلك الٓمٓ)[٣].

وقيل إنَّ الوقف على (الٓمٓ) ليس بتمام ولا كافٍ، وهو مذهب الفراء؛ لأن المعنى عنده أنها حروف المعجم اجتزئ بعضها من بعض، والتقدير عنده: (يا محمد ذلك الكتاب)، قال أبو إسحاق الحضرمي: وهذا خطأ، ولو كان كما قال لكان بعدها أبدًا (ذلك الكتاب) أو ما أشبهه[٤].

---

(١) ينظر: المكتفى للداني ص١٨.

(٢) ينظر: القطع للنحاس ص٣٠ .

(٣) ينظر: القطع للنحاس ص٣١.

(٤) ينظر: القطع للنحاس ص٣١.

وقال عكرمة: (الٓمٓ) قسمٌ، وقوله إنها قسم يوجب ألا يكون تماما؛ لأن القسم متعلق بما بعده، وقيل: هو تنبيه[١].

وبناء على هذه الأوجه الثلاثة الأخيرة فهو متعلق بما بعده لحصول الفائدة، فلا يفصل منه لذلك؛ وهو حيث أتى رأس آية في الكوفي[٢]؛ فمن حيث ذلك كان جملة مستقلة وكلاماً تاماً[٣]، وهذا ما أيده الأخفش بقوله: "كل حرف من هذه الأحرف قائم بنفسه يحسن الوقف عليه، والأَوْلَى الوقف على آخرها اتباعًا للرسم العثماني"[٤].

*** ومن أثر الوقف في تحديد جملة الصلة قول الله تعالى:**

﴿... فَإِن لَّم تَفعَلُواْ وَلَن تَفعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلحِجَارَةُ أُعِدَّت لِلكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤].

يرى السجستاني أن الوقف على قوله تعالى: (أُعِدَّت لِلكَٰفِرِينَ) تامٌ، وذلك لأنه عدَّ جملة (أُعِدَّت لِلكَٰفِرِينَ) من صلة (ٱلَّتِي) كما قال في (آل عمران:١٣١) (وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّت لِلكَٰفِرِينَ)[٥].

ومن ثَمَّ يُفهم من هذا الوقف أن السجستاني عَدَّ جملة (وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلحِجَارَةُ) جملة مستعرضة، ويُفهم من هذا أنَّ السجستاني لا يُجيز الفصل بين الموصول وصلته؛ "لأنه لا يجوز قطع الصلة عن الموصول، فهما من المتلازمات القوية التي يعدُ الوقف بين عنصريها وقفاً قبيحًا"[٦].

وعلى الرُّغم من هذا فإن الأنباري والنحاس لهما موقف آخر من هذا الوقف؛ إذ إنهما يخطئان السجستاني في عَدِّه جملة (أُعِدَّت لِلكَٰفِرِينَ) صلة الموصول (التي) ويفرقان بين آيتي (البقرة) و(آل عمران) في أنَّ "(التي) في سورة البقرة قد وُصلت بقوله: (وقودها الناس) فلا يجوز أن يوصل بصلة ثانية، أما في سورة (آل عمران) فليس لها صلة غير (أعدت)"[٧].

---

(١) ينظر: القطع للنحاس ص٣١.

(٢) يقصد بالكوفي : قراءة الكوفيين.

(٣) ينظر: المكتفى للداني ص١٨، وينظر مسالة الحروف التي في أوائل السور بتوسع في تفسير الطبري ١٥٧/١ وفي مقدمة لسان العرب لابن منظور.

(٤) ينظر: منار الهدى للأشموني ٤٥/١ .

(٥) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء: للانباري ٥٠٥/١، والقطع للنحاس ص٤٥.

(٦) أثر الوقف على الدلالة التركيبية: د. محمد يوسف حبلص، طبعة دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، ص ٨٤.

(٧) إيضاح الوقف والابتداء: للأنباري ٥٠٥/١، والقطع: للنحاس ص ٤٥.

وأرى أن إعراب أبي حاتم (أُعِدَّت لِلكَفِرِينَ) صلة، وعدم إجازته الوقف على (وَٱلحِجَارَةُ) فيه تضييق للواسع؛ لأن "الجملة قد تكون مستأنفة فيكون الوقف على (وَٱلحِجَارَةُ) حسنًا أو صالحًا، وقد يكون كافياً على استئناف ما بعدهُ"[1].

*** ومن أثر الوقف في تحديد وظيفة الأداة النحوية قول الله تعالى:**

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَستَحِيۦٓ أَن يَضرِبَ مَثَلا مَّا بَعُوضَة فَمَا فَوقَهَا﴾ [البقرة:٢٦].

ذكر النحاس: أن الوقف على (فَمَا فَوقَهَا) تامٌ عند أبي حاتم، وقد استحسنهُ النحاس، وخطّأ من وقف على (بعوضةً) وحجته أنَّ "(ما) إن كانت زائدة للتوكيد فلا يُبتدأ بها، وإن كانت بمعنى الذي، ورفعتَ (بَعُوضَة) فهي بدل من مَثَل، وكذا إن كانت نكرة ... والقطع على (ما) حسن، ولكن الائتناف بما بعدها قبيح؛ لأنه منصوب مردود على ما قبله ... والوقف على (بَعُوضَة) ليس بتمام؛ لأنه متعلق بقوله (فَمَا فَوقَهَا) كما قال أبو حاتم"[2].

وهنا يظهر بجلاء أثرُ الوقفِ والابتداءِ في اختلافِ دلالةِ (ما)؛ إذ إنَّ معناها هو الذي يحدّدُ الوقفَ وحكمه، فإنها قد تكونُ نكرةً موصوفةً بمعنى شيء، وعليه فـ(بعوضة) صفة لها، ومن ثَمَّ فلا يحسن الوقف على (ما)؛ لأنَّ (بَعُوضَة) متممة لها بمعنى أنه وصفها بالجنس المنكر لإبهامه، فهي في معنى (قليل)، وبناء على هذا فـ(ما بعوضة) بدل من (مثلا)، و(بعوضة) بدل من (ما) أو عطف بيان لها، وعليه فالوقف على (بعوضة) كافٍ لحاجته إلى ما بعده في المعنى.

ويمكن أن تكون (ما) زائدة لتوكيد شيوع التنكير في (مثلا)، و(بعوضة) بدل أو عطف بيان من (ما)، وعليه فلا يُبتدأُ بها، ومن ثَمَّ فالوقف على (فما فوقها) تامٌ كما قال السجستاني.

ويمكن أن تُنصب (بعوضةً) على أنَّها مفعول (يضرب)، و(مثلا) حال قُدِّمت على (بعوضة)، ويكون الوقف عليه (كافيا) لتعلقه بما بعده[3].

---

(1) القطع: للنحاس ص٤٥.

(2) القطع للنحاس ٤٦، ٤٧، وينظر: إيضاح الوقف والابتداء: للأنباري ٥٠٨/١، وتفسير غريب ما في كتاب سيبويه من الأبنية: لأبي حاتم السجستاني، تحقيق: د. محمد الدالي، طبعة دار البشائر، دمشق، سوريا ٢٠٠١م ١٣٨/٢.

(3) ينظر: منار الهدى: للأشموني ٦٦/١ ، ٦٧.

*** ومن أثر الوقف في جواز الفصل بين جملة الحال وصاحبها قول الله تعالى:**
﴿... وَقُلنَا ٱهبِطُواْ بَعضُكُم لِبَعضٍ عَدُوّ وَلَكُم فِي ٱلأَرضِ مُستَقَرّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِين * فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰت فَتَابَ عَلَيهِ...﴾ [البقرة ٣٦-٣٧].

يرى أبو حاتم السجستاني أن الوقف على (وَقُلنَا ٱهبِطُواْ) كاف، ووجهه عنده أن الوقف على (ٱهبِطُواْ) للتجريد، وعدم ربط العداوة بالهبوط؛ أي: لا ترابط بين الأمر بهبوطهم وبين العدواة الحاصلة بينهم، أو بين إهباطهم وعداوتهم(١).

وفي وصف أبي حاتم- للوقف هنا بأنه كاف- نظرٌ؛ لأن الجملة الاسمية بعده (بَعضُكُم لِبَعضٍ عَدُوّ) ستكون مستأنفة، للإخبار عن ثبوت العداوة بينهم، وفيه دلالة على أنَّه يجوِّز الفصل بين جملة الحال وصاحبها باعتبار أنهما من العناصر النحوية الأقل تلازمًا.

فإن جعلت الجملة في موضع الحال كان الوقف على (بَعضُكُم لِبَعضٍ عَدُوّ) أي: اهبطوا متباغضين؛ بعضكم لبعض عدو، فيكون الأمر هنا بالهبوط متضمناً الأمر باتخاذ إبليس وذريته من بعدُ أعداءً(٢)؛ وهذا كثير في القرآن؛ ومنه قوله تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)[فاطر: ٦]؛ ومنه كان "الوقف على (عَدُو) أحسن"(٣) "وأحسن منه (مستقر ومتاع إلى حين)"(٤).

*** ومن أثر الوقف في تحديد خبر (ليس) قول الله تعالى:**
﴿لَيسُواْ سَوَآء مِّن أَهلِ ٱلكِتَـٰبِ أُمَّة قَآئِمَة يَتلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيلِ وَهُم يَسجُدُونَ﴾ [آل عمران:١١٣].

يرى أبو حاتم أنَّ الوقف على (لَيسُواْ سَوَآء) تامٌ؛ على اعتبار أنَّ الضمير في (ليسوا) لأحد الفريقين، وهو من تقدم ذكره في قوله: (منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) أي: ليس الجميع سواء، فليس من آمن كمن لم يؤمن، أو ليس المؤمنون والفاسقون المتقدم ذكرهم سواء(٥).

---

(١) ينظر: القطع : للنحاس ص٥٣، والمكتفى في الوقف والابتداء: ص: ٢١.
(٢) ينظر: القطع: للنحاس ص٥٣.
(٣) منار الهدى : للأشموني ٩٣/١.
(٤) إيضاح الوقف والابتداء: للانباري ٢/ ٦٥٢.
(٥) ينظر: منار الهدى : للأشمونى ١٥٤/١.

وعليه فإنَّ الجملة بعد هذا الوقف (من أهل الكتاب أمةٌ قائمةٌ...) اسميةٌ ارتفعت فيها (أُمَّة) بالابتداء، والجار والمجرور قبله الخبر، وهو الأصح، كما يرى الأشموني[١].

ويرى الفراء والأنباري أنَّ التمامَ في الوقف على (يسجدون)، والمعنى عندهما: ليست تستوي أمة قائمة يتلون آيات الله وأمة على غير ذلك[٢].

وهذا الذي ذهبا إليه تختلف معه الدلالة النحوية؛ إذ إنَّهما قدرا (سواء) بمعنى (تستوي) أي: ليست تستوي من أهل الكتاب أمة قائمة وأخرى غير قائمة، وعليه فـ(أمةٌ) مرفوعة بـ(تستوي)، وبناء على هذا فلا يتمُّ الكلام بالوقف على (سَوَآء)، وإنما تمام الكلام على (يسجدون).

وما ذكره الفراء والأنباري من جعلهما خبر ليس (تستوي أمةٌ) فيه تكلف واعتساف، ثم هو لا يستقيم من جهة الصناعة النحوية؛ لأن خبر (ليس) لا يعود منه على اسم عائد، وهذا لا يجوز، "مع قُبح عمل سواء؛ لأنه ليس بجارٍ على الفعل"[٣].

وذكر أبو عبيدة: أن (أُمَّة) اسمُ (ليس) و(سَوَآء) خبرها، وأتى الضمير في (ليس) على لغة: (أكلوني البراغيث)[٤] قال مكي: "وهذا بعيدٌ؛ لأن المذكورين قد تقدموا قبل (ليس) ولم يتقدمْ في (أكلوني) شيءٌ، فليس هذا مثلَه[٥].

وتبعَه الأشموني في رده على أبي عبيدة، وذكر أن الضمير في (لَيسُواْ سَوَآء) على رأي أبي عبيدة يعودُ على (أهلِ الكتابِ)، و(سَوَآء) خبر ليس يُخبرُ به عن الاثنين وعن الجمع[٦].

وأرى أنَّ الوجه هو ما ذكره أبو حاتم من أن الوقف على (ليسوا سواء) تامٌ، فليس مؤمنو أهل الكتاب ككافريهم، ثم يبتدأ بقوله: (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم ساجدون)؛ لبيان وجه التفرقة بين الفريقين.

---

(١) ينظر: السابق نفسه.

(٢) ينظر: معاني القران: للفراء أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت:٢٠٧هـ) تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرون، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الأولى٢٣٠/١، وإيضاح الوقف والابتداء: للأنباري ٥٨٢/٢.

(٣) مشكل إعراب القرآن : لمكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني (ت:٤٣٧هـ) تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ١٧٠/١، والقطع للنحاس ص١٤٥.

(٤) ينظر: مجاز القران: لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري (ت:٢٠٩هـ) تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٨١هـ ١٠١/١.

(٥) ينظر: مشكل إعراب القران: لمكي ١٧٠/١.

(٦) ينظر: منار الهدى: للأشموني ١٥٤/١.

*** ومن أثر الوقف في تعيين وظيفة لام المضارع قول الله تعالى:**

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفسِهِ ٱلرَّحمَةَ لَيَجمَعَنَّكُم إِلَىٰ يَومِ ٱلقِيَٰمَةِ لَا رَيبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم فَهُم لَا يُؤمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢].

ذهب أبو حاتم السجستاني إلى أن الوقف في قوله تعالى (لَيَجمَعَنَّكُم) فيه وجهان:

الأول: أن يتم الكلام على قوله (كَتَبَ رَبُّكُم عَلَىٰ نَفسِهِ ٱلرَّحمَةَ)، ثم يستأنف بقوله (لَيَجمَعَنَّكُم)[(١)]، وهذا قول الفراء، ونسبه إلى أبي حاتم[(٢)]؛ وعليه فيكون الوقف تاما على: (**ٱلرَّحمَةَ**)؛ ثم يبتدئ القارئ: (**لَيَجمَعَنَّكُم إِلَىٰ يَومِ ٱلقِيَٰمَةِ**...) ولا تعلّق حينئذ بين الجملتين.

وذكر القرطبيُّ: أن الاستئناف بـ(لَيَجمَعَنَّكُم) على جهة التبيين؛ وعليه يكون المعنى: (ليمهلنكم وليؤخرَن جمعَكم)، وقيل المعنى: (لَيَجمَعَنَّكُم)؛ أي في القبورِ إلى اليومِ الذي أنكرتموه[(٣)].

وبيَّن الأشموني أن الوقف على (ٱلرَّحمَةَ) حسنٌ إذا جعلت اللام في (لَيَجمَعَنَّكُم) جواب قسمٍ محذوف، والتقدير:(والله ليجمعنكم)[(٤)].

والوجه الآخر عند أبي حاتم هو جعلُ قوله (لَيَجمَعَنَّكُم) في موضع نصب بـ(كَتَبَ)[(٥)]، كما في قوله تعالى: (عَلَيكُم كَتَبَ رَبُّكُم عَلَىٰ نَفسِهِ ٱلرَّحمَةَ أَنَّهُۥ مَن عَمِلَ مِنكُم سُوٓءَا...)[الأنعام:٥٤]، وعلى هذا الوجه لا يحسن الوقف على (ٱلرَّحمَةَ)؛ لتعلق (لَيَجمَعَنَّكُم) بما قبلها، وبيّن القرطبي أن (لَيَجمَعَنَّكُم) على هذا المعنى تكونُ في موضعِ نصبٍ على البدلِ من (ٱلرَّحمَةَ)؛ وسبقه إلى ذلك مكي وغيره، وأفادت حينئذ أن الرحمة لا تُنافي الجمع والحساب[(٦)].

---

(١) ينظر: القطع للنحاس ص٢٢٠، وبه قال الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء٦٣٠/٢.

(٢) ينظر: معاني القران: للفراء ٣٢٨/١.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): لشمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي (ت:٦١٧هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م ٣٩٥/٦.

(٤) ينظر: منار الهدى للأشموني ٢٣٣/١.

(٥) ينظر: القطع : للنحاس ص٢٢٠، وإيضاح الوقف والابتداء: ٦٣٠/٢.

(٦) ينظر: تفسير القرطبي : ٣٩٥/٦، مشكل إعراب القرآن: ٢٥٣/١.

*** ومن أثر الوقف في تحديد عامل النصب في الجملة الفعلية قول الله تعالى:**

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ* فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف٣٠:٢٩].

فقد ذكر أبو حاتم السجستاني وجهين في نصبِ (فَرِيقًا)، وعليه يظهر حكم الوقف على (تَعُودُونَ)، فقال: إن شئتَ نصبتَ الفريق الأول والثاني بـ(تَعُودُونَ) كأنه قال: (تعودون على حالِ الهدايةِ والضلالةِ) والدليل على هذا قراءةُ أُبي بن كعب، أنهُ قرأ (كما بدأكم تعودون) فريقين: فريقًا هدى وفريقًا حق عليهم الضلالة، فمن هذا الوجهُ لا يتم الوقف على (تَعُودُونَ)؛ لأنهُ ناصبٌ (للفريقين) ظاهر التعلق بهما، لا يفصل بينه وبين معموله[١].

وكذلك لا يصح الوقف "إن نُصبتا حالين من فاعلِ (تعودون) أي: تعودون فريقاً مهديًا، وفريقًا حاقًا عليهم الضلالة، والوقفُ حينئذٍ على (ٱلضَّلَٰلَةُ)"[٢].

والوجه الأخر: أن تُنصب (فَرِيقًا) بـ(هَدَىٰ)[٣] وفريقًا الثانية تنصب على معنى: وأضل فريقًا حق عليهم الضلالة، ويكون التمام على هذا (تَعُودُونَ) لعدم تعلق ما بعده به؛ فيكون قوله: (فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ) كلاما مستأنفا[٤].

وعليه فالوقف متعلق بالإعراب؛ فمن جعل (فريقا) معمولا لـ(تعودن) لم يقف؛ ومن لم يجعلها كذلك وقف.

*** ومن أثر الوقف في تحديد وظيفة الواو قول الله تعالى:**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤].

قال أبو حاتم السجستاني: معناه (ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله)؛ وعليه فلا يصح الوقف على (حسبك الله)؛ لقوة تعلق ما بعده به على هذا المعنى عنده؛ ولكن يصح على معانٍ أُخر، وقد انتقده أبو بكر الأنباري، فقال: "وهذا غلط؛ لأن المفسرين والنحويين على خلافه، وإنما رغب النحويون عنه لأنه ينقطع من الأول إذا فعل به ذلك، وهو متصلٌ على مذهبِهم، فليست بهم حاجة إلى قطعه منه"[٥].

---

(١) ينظر: القطع للنحاس ص٢٥٠، إيضاح الوقف والابتداء: للأنباري ٦٥٣/٢، ٦٥٤.

(٢) ينظر منار الهدى: ص٢٩٦.

(٣) يرى مكى أنَّ (فَرِيقًا) الأولى نُصبت بـ(هَدَىٰ)، والثانية نُصبت بإضمار فعلٍ في معنى ما بعدهُ، تقديرهُ: (وأضل فريقًا) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢٨٧/١.

(٤) ينظر: القطع: للنحاس ص٢٥٠، والمكتفى: للداني ص٧٤.

(٥) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء: للأنباري ٦٨٧/٢، ٦٨٨.

والحق أنَّ انتقاد الأنباري لأبي حاتم يمكن قبوله إذا سلمنا بأن أبا حاتم لا يجيز الوقف على (حسبك الله) مطلقا، وأما إذا كان يجوز الوقف والوصل فلا؛ لأن معنى الآية عند أبي حاتم: الله وحده كافيك، وكافي أتباعك؛ فلا يحتاجون معه إلى أحد، وبناء على هذا تنشأ للواو وظيفتان نحويتان، وسيكون لها تقديران:

أحدهما: أن تكون الواو عاطفةً (مَنْ) على الكاف المجرورة في (حسبك) والعطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار جائز على المذهب المختار، وشواهده كثيرة، وشُبَهُ المنعِ منه واهيةٌ[(١)].

والثاني: أن تكون الواو للمعية؛ وهو قول الزمخشري حيث قال في الآية: "(وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلمُؤمِنِينَ) الواو بمعنى: مع، وما بعدهُ منصوبٌ، تقولُ: حسبُك وزيداً درهمٌ، ولا تجر؛ لأن عطفَ الظاهرِ المجرور على المكنى ممتنع، والمعنى: كفاك وكفى أتباعَك من المؤمنين اللهُ ناصرًا، أو يكون (مَن) في محل الرفع؛ أي كفاك اللهُ، وكفاك المؤمنون"[(٢)].

وفيها تقدير ثالث: أن تكون (من) في موضع رفع بالابتداء أي: ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله؛ قال الإمام الداني : (حسبك الله) كافٍ إذا جعلت (من) في قوله (ومن اتبعك من المؤمنين) في موضع رفع بالابتداء والخبر بتقدير: ومن اتبعك من المؤمنين كذلك، أو جعلت في موضع نصب بتقدير: يكفيك الله ويكفي من اتبعك من المؤمنين، فإن جُعلت نسقاً على اسم الله عز وجل لم يكف الوقف دونها (من المؤمنين) تام"[(٣)].

فالذي لا يصح في الآية من جهة المعنى أن تكون (مَن) في موضع رفع عطفا على لفظ الجلالة (اللهُ) والمعنى: حسبك الله وأتباعك، وهو خطأ محض لا يجوز حمل الآية عليه فإن الحسب والكفاية لله وحده، كالتوكل والتقوى والعبادة[(٤)].

---

(١) ينظر: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: لجمال الدين الحلاق القاسمي (ت:١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ٣٢٠/٥.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: لجار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ٢٣٤/٢.

(٣) المكتفى في الوقف والابتدا: ص: ٨٥.

(٤) ينظر: التفسير القيم: لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١ هـ) تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ه، ٤٥١/١.

وبناء على ما سبق يصح قول أبي حاتم السجستاني أنَّ من المعاني التي يقبلها الوقف على (حسبك الله) والابتداء بقوله: (ومن اتبعك من المؤمنين) على تقدير: (ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله) وليس في هذا نقد يوجه إليه فيه.

*** ومن أثر الوقف في تحديد اسم وخبر كان الناسخة قول الله تعالى:**

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]

ذهب أبو حاتم إلى أن الاختيار في قوله تعالى: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ) أن تمام الوقف على (ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)، والتقديرُ: وكان نصر المؤمنين حقًا علينا، على أن يكون (نَصرُ المؤمنين) اسم كَان، و(حَقًّا) خبرَها، ثم تبتدئ بقوله: (علينا نصر المؤمنين) أي: إن علينا أن ننصر المؤمنين بالانتقام من أعدائهم وهم الذين أجرموا[(١)].

وذهب بعضهم إلى أنَّ الوقف التام على قوله (وَكَانَ حَقًّا)، والتقدير: فانتقمنا من الذين أجرموا وكان انتقامنا منهم حقًا[(٢)].

ويبدو لي أنَّ أبا حاتم قد لمح في الوقف على آخر الآية (علينا نصر المؤمنين) عدم تقدير محذوف، وهذا أولى من وجهة نظره؛ لأن ما لا يحتاج إلى تقدير محذوف عنده أولى مما يحتاج إلى تقدير محذوف، ولكن هذا لا يمنع الوقف على (حقا) لأن فيه بيانَ "أنه لم يكنْ الانتقام ظلماً بل عدلاً؛ لأنه لم يكنْ إلا بعد كونِ بقائهم غيرَ مفيدٍ إلاّ زيادةَ الإثمِ وولادةَ الفاجرِ الكافرِ، فكان عدمُهم خيرًا من وجودِهم الخبيثِ"[(٣)].

*** ومن أثر الوقف في تحديد جملة الخبر من جملة الصلة قول الله تعالى:**

﴿يسٓ* وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ* إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ* عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[يس:١-٤]

ذكر النحاس أنَّ الوقف عند أبي حاتم في قوله: (إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ) كافٍ، والتمام على قوله: (عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ)[(٤)].

قال النحاس: وقد غلط أبو حاتم في القولين جميعا؛ لأن قوله (إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ) لا يخلو من إحدى ثلاثة توجيهات:

---

(١) ينظر: القطع: للنحاس ص ٥٣٦، وإيضاح الوقف والابتداء ٨٣٤/٢

(٢) ينظر: المكتفى: للداني ص١٦٢، وإيضاح الوقف والابتداء ٨٣٥/١.

(٣) تفسير البحر المحيط: لأثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ١٧٣/٧، وينظر المنار: للأشموني ١٤٨/٢.

(٤) ينظر: القطع والائتناف: للنحاس ص ٥٧٦.

أن يكون (عَلَىٰ صِرَٰط مُّستَقِيم) خبرا بعد خبر؛ فلا يكفي الوقوف على ما قبله، أو يكون التقدير: (إنك من الذين أرسلوا على صراط مستقيم) فيكون قوله (عَلَىٰ صِرَٰط مُّستَقِيم) داخلا في الصلة فلا ينبغي الوقوف على ما قبله، كما لا ينبغي الوقف على بعض الاسم، أو يكون التقدير: (إنك لمن المرسلين لتنذر قوما)، فيدخل قوله (لِتُنذِرَ) في الصلة أيضًا، فلا ينبغي الوقف من هذه الجهة على (ٱلمُرسَلِينَ) ولا على (صِرَٰط مُّستَقِيم)[1].

فإن جعلت (لِتُنذِرَ) متعلقا بـ(تَنزِيلَ) ورفعته بإضمار مبتدأ كان الوقف على قوله (مُّستَقِيم) كافيا، وقيل تاما، ويكون التقدير (هو تنزيل أو هذا تنزيل)، فإن نصبت (تَنزِيلَ) لم تقف على قوله (عَلَىٰ صِرَٰط مُّستَقِيم)؛ لأن النصب على المصدر، والعامل فيه الفعل الذي دل عليه الكلام[2].

(١) ينظر: السابق نفسه.

(٢) ينظر: القطع: للنحاس ٥٧٦، والنشر في القراءات العشر: ٢٥٢/٢.

الخاتمة

وفي الخاتمة أود أن أقول إنَّ هذا البحث على وجازته أراد أن يقدم تطبيقا ولو قليلا لظاهرة من أهم الظواهر المرتبطة بالقرآن الكريم وهي ظاهرة الوقف والابتداء عند أبي حاتم السجستاني، ومدى تعانقها مع علم النحو العربي تأثيرا وتأثرا؛ للوقوف على الطاقات الإبداعية في الأساليب التي بيانها يُعدُّ أعلى بيانٍ بين يدي البشر وهو كلام الله عز وجل، وقد تكشف لي من خلال هذا البحث جملة من النتائج يمكن بلورتها في النقاط التالية:

١- أنَّ الوقف والابتداء مرتبط ارتباطا وثيقا بالعلاقات التركيبية في الجملة العربية، تصح بصحته وتفسد بفساده.

٢- أنَّ توظيف الوقف في القراءة آليةٌ منهجية دقيقة تعين الدارسين على إدراك العلاقات التركيبية بين الوحدات النحوية وما يترتب على ذلك من دلالة.

٣- أنَّ للنحو صلة كبيرة بعلم الوقف والابتداء؛ فعلى أحكامه يتحدد كل نوع من الوقف، وكيفية الابتداء بما بعده؛ لذا نجد كثيرا من العلماء يختلفون فيه اختلافا كبيرا في تعليلاتهم حسب مذاهبهم، وتتعدد حججهم وأقيستهم.

٤- أنه ينبغي لمن يدرس الوقف في القرآن الكريم أن يكون ملمًا بأوجه الإعراب المختلفة.

ثبت بمصادر البحث ومراجعه

١- الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت:٩١١ه) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢- أثر الوقف على الدلالة التركيبية: د. محمد يوسف حبلص، طبعة دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٣- أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) تحقيق: عبد الرحيم محمود، طبعة دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ.

٤- إيضاح الوقف والابتداء فى كتاب الله عزوجل: لأبى بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، الأولى١٣٩٠هـ- ١٩٧١م.

٥- البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، ت:٧٩٤ه تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان، الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٦- تفسير البحر المحيط: لأثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٧- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: لجمال الدين بن محمد الحلاق القاسمي (ت:١٣٣٢هـ) تحقيق:محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١٨هـ.

٨- التفسير القيم: لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١ هـ) تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، إشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٩- تفسير غريب ما في كتاب سيبويه من الأبنية: لأبي حاتم السجستاني، تحقيق: د. محمد الدالي، دار البشائر دمشق، سوريا ٢٠٠١م

١٠- الثقات: لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، (ت:٣٥٤هـ) تحقيق: السيد شرف- طبعة دار الفكر، بيروت ١٣٩٥هـ.

١١- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): لشمس الدين محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت:٦١٧هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م

١٢- جمال القراء وكمال الإقراء: لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣) تحقيق: د.علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ومطبعة الدني، القاهرة، الأولى ١٤٠٨هـ.
١٣- العباب الزاخر واللباب الفاخر: لأبي الفضائل رضي الدين الحسن بن محمد، الصاغاني القرشي (ت:٦٥٠هـ) تحقيق: محمد حسن آل ياسين، طبعة دار الرشيد للنشر.
١٤- الفهرست: لمحمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، (ت: ٣٨٥هـ)، دار المعرفة، ٣٩٨هـ.
١٥- القطع والائتناف: لأبي جعفر أحمد بن محمد النَّحَّاس، تحقيق: د. عبد الرحمن المطرودي، عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
١٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: لجار الله أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الثالثة ١٤٠٧هـ.
١٧- الكليات -معجم في المصطلحات والفروق اللغوية-: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، الثانية.
١٨- لسان العرب: لجمال الدين محمد ابن مكرم بن علي بن منظور(ت : ٧١١هـ)، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، وأمين الصادق الحميدي، طبعة دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
١٩- مجاز القران: لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري (ت:٢٠٩هـ) تحقيق: محمد فؤاد سزكين، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٨١هـ.
٢٠- مشكل إعراب القرآن : لمكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت:٤٣٧هـ) تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ .
٢١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت:٧٧٠هـ) طبعة المكتبة العلمية بيروت، لبنان ١٩٨٧م.
٢٢- معاني القران: للفراء أبي زكريا يحيى بن زياد الديلمي (ت:٢٠٧هـ) تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرون، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الأولى.
٢٣- معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس ت:٣٩٥ه، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، طبعة دار الجيل، بيروت ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٢٤- المكتفى في الوقف والابتدا: لعثمان بن سعيد أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ) تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، الأردن، الأولى١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٢٥- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا: لأحمد بن عبد الكريم بن محمد الأشموني (ت: ١١٠٠هـ)، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، مصر ٢٠٠٨م.
٢٦- نزهة الألباب في الألقاب: لأحمد بن علي المشهور بابن حجر العسقلاني، (ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن صالح السديري، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٠٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٧- النشر في القراءات العشر: لشمس الدين محمد بن يوسف الشهير بابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية، القاهرة.
٢٨- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري: لعبد الفتاح بن السيد العسس المرصفي (ت: ١٤٠٩ه)، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية.
٢٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لشمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الأولى ١٩٩٤م.